11

آدمُ والشّـــعْر

تمهيد: تُعَدّ رسَـالة الغُفْرَانِ منْ أوائل الرّسـائل الخَيَاليّةِ فِي الأدَبِ العَرَبِيّ. تَدُورُ أَحْدَاثُهَا بَيْنَ الجَنّةِ وَالنّـارِ. اخْتَارَ لَهَا المعرّي ابن القارح بَطَلاً وَجَعَلَهُ يَحْضُرُ مَوْقِفَ الحَشْـرِ، وَيَتَجَـوّلُ فِي الجَنّةِ، وَيُطِلّ عَلَى الجَحِيمِ. وَفِي هَذِهِ الرّحْلَةِ الخَيَالِيّةِ يَلْتَقِي ابن القارح بِشَـخْصِيّاتٍ، أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَدَبَاءِ الجَاهِلِيّةِ والإِسْلاَمِ، وَيَعُودُ إلى الجَنّةِ. وَفِي الطّرِيقِ يَلْقَى، آدَمَ عَلَيْهِ السّلاَمُ، فَيَدُورُ بَيْنَهُمَا الحِوَارُ التّالِي.

1 فَيَقُـولُ [ابن القارح]: يَـا أَبَانَا - صلّى اللّه عَلَيْكَ - قَدْ رُوِيَ لَنَا عَنْكَ شِعْرٌ مِنْهُ قَوْلُكَ [السّريع]:

نَحْنُ بَنُو الأَرْضِ وَسُكّانُهَـا ••• مِنْهَا خُلِقْنَـا وَإِلَيْهَـا نَعُـودْ
وَالسّعْدُ لاَ يبْقَى لأَصْحَابِـهِ ••• والنّحْسُ تَمْحُوهُ لَيَالِي السّعودْ

5 فَيَقُـولُ: إنّ هَذَا القَوْلَ حَقّ وَمَا نَطَقَهُ إلاّ بَعْضُ الحُكَمَاءِ، وَلَكِنّي لَمْ أَسْـمَعْ بِهِ حَتّى السّاعَةَ، فَيَقُولُ - وَفّرَ اللّه قِسْمَهُ فِي الثّوَابِ -: فَلَعَلّك يَا أَبَانَا قُلْتَهُ ثُمّ نَسِيتَ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنّ النّسْـيَانَ مُتَسَرّعٌ إِلَيْكَ، وَحَسْبُكَ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ الآيَةُ:... «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِـيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما»*. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ العُلَمَاءِ أَنّكَ إِنّمَا سُمّيتَ إِنْسَانًا لِنِسْيَانِكَ...

10 فَيَقُولُ آدَمُ صَلّى اللّه عليْه: أَبَيْتُمْ إلاّ عُقُوقًا وَأَذِيّةً، إِنّمَا كُنْتُ أَتَكَلّمُ بِالعَرَبِيّةِ فِي الجَنّةِ. فَلَمّا هَبَطْتُ إِلَى الأَرْضِ نُقِلَ لِسَـانِي إِلَى السّرْيَانِيّةِ، فَلَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِهَا إِلَى أَنْ هَلَكْتُ، فَلَمّا رَدّنِي اللّه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عادَتْ عَلَيّ العَرَبِيّةُ. فأيّ حِينٍ نَظَمْتُ هَذَا الشّـعْرَ: فِي العَاجِلَةِ أَمْ فِي الآجِلَةِ؟ وَالّذِي قَالَ ذَلِكَ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ وَهُوَ فِـي الدّارِ المَاكِرَةِ، أَلاَ تَرَى قَوْلَـهُ: «مِنْهَا خَلِقْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ» فَكَيْـفَ أَقُولُ هَذَا المَقَالَ 15 وَلِسَـانِي سُـرْيَانِيّ؟ وَأَمّا الجَنّةُ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْهَا، فَلَمْ أَكُـنْ أَدْرِي بِالمَوْتِ فِيهَا... وَأَمّا بَعْدَ رُجُوعِي إِلَيْهَا فَلاَ مَعْنَى لِقَوْلِي «وَإِلَيْهَا نَعُودُ» لأَنّهُ كَذِبٌ لاَ مَحَالَةَ، وَنَحْنُ مَعَاشِرَ أَهْلِ الجَنّةِ خَالِدُونَ مُخَلّدُونَ...

ويَقولُ آدَمُ – صلّى اللّه عليْه - أَعْزِزْ عَلَيّ بِكُمْ مَعْشَـرَ أُبَيْنِيّ إِنّكُمْ فِي الضّلاَلَةِ مُتَهَوّكُـونَ ! آلَيْتُ مَا نَطَقْتُ هَذَا النّظِيمَ وَلا نُطِقَ فِي عَصْرِي، وَإِنّمَا نَظَمَهُ بَعْضُ 20 الفَارِغِينَ فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوّةَ إلاّ بِاللّه! كَذَبْتُمْ عَلَى خَالِقِكُم وَرَبّكُمْ ثُمّ عَلَى آدَمَ أَبِيكُمْ ثُمّ عَلَى حَوّاءَ أُمّكُمْ وكَذَبَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَآلُكُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى الأَرْضِ.

أبوالعلاء المعرّي، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرّحمان، دار المعارف، ط.6 مصر 1977 ص ص 360، 364

السّريانيّة: الآراميّة، لغة سكّان ما بين النّهرين قديمًا.

مُتَهَوّكُونَ: مُتَحَيّرُونَ.
النّظيم: الشّعْر.

تعريفات

الأعـلام

المؤلّـف: أبـو العـلاء المعرّي- هو أحمد بـن عبد اللّه بن سـليمان (363 هـ/973 م - 449 هـ / 1057 م) وهو شـاعر وناثر جريء التّفكير، موسـوعيّ المعرفة. ولد في معرّة النّعمان قرب «حلب» في سـوريا، فقدَ بصره في طفولته. تعلّم على أبيه ثمّ على أعلام عصـره. زار بغـداد، وبقي بها عاما ونصف عام، ثمّ رجع إلى المعـرّة. فاعتزل النّاس. ولزم منزله تسـعا وأربعين سـنة. فلقّب برهين المحبِسـيْن: منزله وعماه. مـن أهمّ آثاره: ديوان «سـقط الزّند» و «لزوم ما لا يلزم» المعروف «باللّزوميّات»، و«رسـالة الغفران»...

ابـن القارح: هو عليّ بن منصور، ولد سـنة 351 للهجـرة «بحلب». عاش في كنف الوزيـر المغربيّ بمصر في عهد الدّولة الفاطميّة، ثمّ تنكّر له بعد أن أوقع به الحاكم بأمر اللّه. أراد الرّجوع إلى الشّـام، فأرسـل إلى أبي العلاء رسـالة كانت سببا في إنشاء رسالة الغفران .

كتب وآثـار:

رسـالة الغفران: يعود تأليف رسـالة الغفران إلى سـنة 424 هـ. وهـي تتكوّن من قسـميْن: قسم للرّدّ على رسالة ابن القارح، وقسم الرّحلة وهو أهمّ ما في الرّسالة من النّاحية الإبداعيّة.

توثيق الآيـات:

* سورة طه – الآية 115

الفهم والتّحليل

1 - دار بين ابن القارح وآدم حوار سجاليّ حاجّ فيه ابن القارح آدم وحاول توجيهه إلى القبول بصحّة ما نُسب إليه من شعر. قسّمْ النّصّ مبرزا مراحل هذا السّجال، والنّتيجة الّتي انتهى إليها.

2 - تواتر النّفي والإثبات في النّصّ على لسـانيْ ابن القارح وآدم، حدّدْ مواقعهما في النّصّ، مبيّنًا وظيفتهما في خدمة الحجاج.

3 - عـدّدَ المعرّي على لسـان آدم الحُجج الّتي تدحض أطروحة ما نسـب إليه من الشّعر ونوّعها، استخرجْ هذه الحُجج وبوّبْها وفق مجالاتها.

التّفكير وإبداء الرّأي

ما رأيك في نقد المعرّي ورفضه لما نسب إلى آدم من شعر؟

إنتاج كتابيّ

تعتبر الوثيقة المكتوبة في عصرنا في كلّ مجالات الحياة ضمانًا لصحّة انتساب القول إلى صاحبه. اكتب نصّا قصيرًا تُبيّنُ فيه قيمة الوثيقة المكتوبة في ضمان هذا الحقّ.

نافذة لغويّـة

الجملةُ الخبريّة المنفيّةُ

1- وَلَكِنّي لَـمْ أَسْمعْ به حَتّى السّاعةِ.
2- «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَـمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا».
3- فَلَمّا هَبَطْتُ إلى الأَرْضِ نُقِلَ لِسَانِي إلى السّرْيَانِيّةِ، فلَـمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِهَا إلى أَنْ هَلَكْتُ.
4- وأَمّا الجَنّةُ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْهَا، فلَـمْ أَكُنْ أَدْرِي بالمَوْتِ فِيهَا.

الأمثلة	عمل «لَـمْ» ومعناها	توظيف «لَـمْ» في الحِجاج
لَـمْ أَسْمَعْ لَـمْ نَجِدْ لَـمْ أَنْطِقْ لَـمْ أَكُنْ	«لَـمْ»: حـرف نفي جازم، يختصّ بالدّخول على الفعل المضارع فيجزمـه، ويدلّ على نفيه نفيًا مطلقًا مؤكّدًا.	تُسْتَعْمَلُ «لَـمْ» فِي النّصّ الحِجَاجِيّ لِنَفْيِ فِكْرَةٍ وَرَفْضِهَا، تَمْهِيـدًا لِدَحْـضِ أُطْرُوحَـةٍ وَإِثْبَاتِ نَقِيضِهَا.

لَمْ	نفي لإمكان الحدث وانقضائه قبل زمان التّكلّم. [لَـمْ يفْعَلْ زيْدٌ].
مَـا	نفي لوقوع حدث أو انقضائه زمان التّكلّم. [مَـا فَعَلَ زيْد إلى الآن / مَـا يَفْعلُ زيْد الآنَ].
لاَ	نفي لوقوع الحدث زمان التّكلّم وبعدَه. [لاَ يفْعَل زيْد الآنَ / ولاَ يفْعَلُ بعْدَ الآنِ].
لَمّا	نفي لوقوع حدث متوقّع وانقضائه إلى حدّ زمان التّكلّم. [لمْ يخْرجْ زيْدٌ / لمْ يَخْرُجْ إلى حدِّ الآن: معناها لمْ + مَا]
لَـنْ	نفي لإمكان وقوع حدث بعْد الآن. [لَـنْ يَفْعَلَ زيْد]

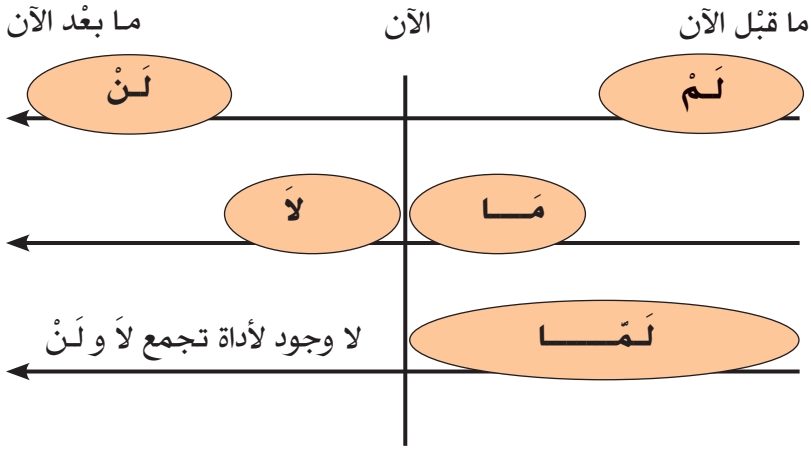

عـوّضْ لَمْ بـ: «مَا» وَ «لَمّا» في الجملـة التّالية، وغيّرْ ما يجـب تغييره ثمّ اذكرْ التّحوّل الحاصل في معنى الجملة، وزمن الفعل.

ولكنّي لَمْ أسْمعْ به حَتّى السّاعةِ.

وَلَكِنّي مَا .....

وَلَكِنّي لَمّا .....

إغنـاء

الانتحال: **ادّعاء الإنسان الشّيء لنفسه أو لغيره.**

1 يشـرع [آدم] في البرهنة لابن القارح على أنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكون هو صاحب البيتيْن الحكْميّيْن، فيقول إنّ اللّسان الّذي كان يتكلّمه في الجنّة هو العربيّة؛ ولمّا «هبط» إلى الأرض، أخذ يتكلّم السُّـريانيّة، وذلك حتّى وفاته. ففي أيّ حين قـال البيْتيْن اللّذيْن يُنسَـبان إليه؟ أكان ذلك أثناء مُقامـه في الأرض؟ لكنّه كان يتكلّم السّـريانيّة، والبيْتان بالعربيّة. أكان ذلك أثناء مُقامه في الجنّة؟ لكن كيف يقول:»وإليها نعود» وقد كان يجهل كلّ شـيء عن الموت؟ أمّا الزّعم بأنّه قالهما لمّا عاد إلى الجنّة، فلا معنـى لذلك: صار خالـدا، فلا حاجة له بذكر الموت. اسـتدلال لا مَطعن فيه: الانتحال تكشـف عنه عبارة «وإليها نعود» الّتي لا تلائم آدم. زلّ المنتحل زلّة شنيعة لمّا لم يأخذ في حسبانه المراحل المختلفة للمغامرة الآدميّة.

عبد الفتّاح كيليطو، لسان آدم، ترجمة عبد الكبير الشّرقاوي، ط. 1 دار تويقال للنّشر، 1995، ص ص 49-50

2 عام 1919، أثار المستشرق الأسبانيّ «بلاسيوس BALACIOS Miguel Asin» ضجّة كبرى عندما نشـر دراسةً بعنوان «الإسلام والكوميديا الإلهيّة» أثبت فيها أنّ الكوميديا الإلهيّة مقتبسـة من رسـالة الغفران. وأثار ما ذكره غضبًا عارمًا في أوسـاط الإيطالِيّين واعتراضهـم. وانصبّ اعتراضهم على أنّـه لا يوجد أيّ دليل على أنّه قد أتيح لـ«دانتي» أن يقرأ رسالة الغفران باللّغة الّتي يفهمها...

وأتى هذا الدّليل عام 1949، عندما نشـر المستشـرق الإيطاليّ «تشيرولّلي» دراسة ذكر فيها تفصيلاً كيف وصلت رسـالة الغفران إلى «دانتي DANTE». فقد ذكر أنّ «ألفونسُو العاشرَ - Alfonso X» ملك قشتالة بأسبانيا أمر بترجمة رسـالة الغفران إلى القشـتاليّة عـام 1264 أي قبل مولـد «دانتي» بعام واحد. وفي نفس العام طلب من مترجِم إيطاليّ ترجمتها من القشـتاليّة إلى اللاّتينيّة والفرنسـيّة القديمة لنشـرها فيما وراء الحدود الأسبانيّة. والعامل الحاسـم الّذي جعل المستشرقين الغربيّين يجزمون باقتباس «دانتي» الكوميديا الإلهيّة من رسالة الغفران هو التّشابه الكبير جدّا بين العَمليْن، مع العلم بالطّبع أنّ المعرّي كتب رسالته قبل «دانتي» بقرون...

دانتي مؤلّف الكوميديا الإلهيّة

فرسـالة الغفران هي رحلة خياليّة مدهشـة إلى الدّار الآخرة، إلى الجنّة ثمّ إلى الجحيم، والكوميديا الإلهيّة هي نفس الشيء، لكنّها تبدأ بالجحيم. والمعرّي اتّخذ بطلاً لرحلته هو «ابن القارِح و«دانتي» اتّخذ الشّاعر الرّومانيّ «فِرجيل - Virgile» رفيقًا.

ورحلة المعرّي تقوم على حوارات مع شـعراء وأدباء، ورحلة «دانتي» كذلك تقوم على حوارات مع فلاسفة وأدباء...

جنّة دانتي

جحيم دانتي

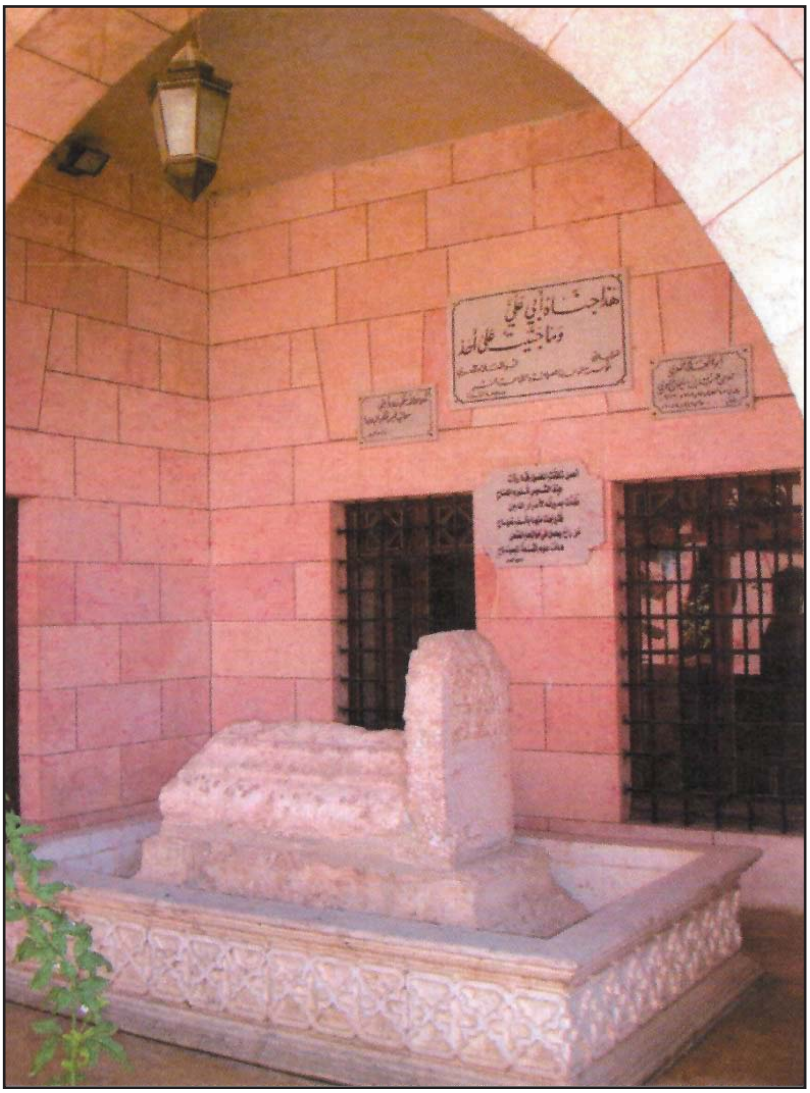

قبر أبي العلاء المعرّي [363 هـ - 449 هـ] بمعرّة النّعمان (حلب – سوريا)

النّاسُ أَكْثَرُ مِمّا أَنْتَ ملْتَمِسُ • • • إِنْ لَمْ يُؤَازِرْكَ ذَاكَ المُسْتَعَانُ، فَذَا
وَمَا يُرِيبُكَ مِنْ سَهم رُمِيتَ بِهِ • • • وَقَدْ أَصَابَكَ مَرّاتٍ فَمَا نَفَذَا

اللّزوميّات

خطاطة النّصّ الحجاجيّ (2): البنية والرّوابط والعوامل